النبي

الى روح الشاعر بدر شاكر السياب

***

وفي صحيفة لدينا لا تباع
قرأت ذلك الخبر .
ما كنت قد رأيته من قبل في مدينتي
ولم يضمنا سفر
لكنني ، ومنذ ان ولدت ، أدمن السهر
وكنت ادري (أي حزن يبعث المطر
وكيف يشعر الوحيد فيه بالضياع) (١)
واي نغمة تضج في حناجر الجياع

***

مشيت يائسا انقب الضجيج
وفي ضميري قصة حزينة .. حزينه
طوفت ساعة وساعتين في ازقة المدينه
لم ألق صاحبا ، ولا حبيبة ، أحكي له حكاية الصدى
حكاية الغريب حين صاح بالخليج : « يا خليج
(يا واهب اللؤلؤ والمحار والردى)
قل للرفاق في دروب الصمت والالم
هنا على الرمل الطري ينزوي غريب
بلا صليب يزمع المسير نحو الجلجله .
وقل لكل حاصد يبيدر الخواء والندم ،
وقد أضاع في حقول الشك منجله ،
وقل لكل جائع يبتاع من حروفه الدواء
ويغزل الحنين في الخيال سنبله ،
قل للجميع في متاهة الالم
هنا مسافر الى السماء .
فليجلبوا الي كل ما تضمه القلوب من دعاء
وكل ما لديهم من الجراح والحنين والسقم
لعلني اعود نحوهم غدا
وجعبتي ملأى : لكل ابرة غطاء
لا تنس ! قل لهم ! (لان الموج لم يزل يصيح بي عراق
والريح لم تذل تصيح بي عراق)
غدا اصيح للعراق يا يسوع ، للعراق يا يسوع !!!
(ما مر عام والعراق ليس فيه جوع)
لا تنس يا خليج .. يا خليج يا بوابة العدم

يا واهب اللؤلؤ والمحار والدموع
لا تنس ! انني مسافر بلا دروب
لا تنس ! ان الجائعين في عراقنا جموع
يصارعون في الظلام ، يشعلون من نزيف كل جرح فيهم شموع
وكم يقيمون الصلاة ، يحلمون انهم بلا قلوب
(اكبادهم على الدروب ، سلعة الغزاة والحروب)
فيأكلون ، يشربون ، يحلمون جوع
ويزرعون ، يحصدون جوع
ما مر عام والعراق ليس فيه جوع
لا تنس انني بلا صليب
وقل لهم ترقبوا الرجوع
لانني صنعت من آلامهم صليب
لا تنس يا خليج ، يا خليج ، يا خليج »
(فيرجع الصدى كأنه النشيج «يا خليج .. ليج .. ليج»)

***

مضى ولم يعد . فقيل لم يصل وقيل دربه بعيد
لكن امي — وهي تحكي صادقه —
قالت لنا : قد بر وعده كما نريد
لكنه لم يحك ، حين قابل الاله ، عن جراحه
فأترعت صديد
وفي الطريق كانت السماء خانقه
وضجت الرياح بالنشيج
فمات في الميلاد ، او كما يقال ، قد اراحه القدر
ويومها ناح الصدى في اوجه البشر
وانهالت السماء بالمطر
مطر .. مطر .. مطر —
وبح شلال الاغاني في بويب !!!

***

لم الق من احكي له حكايتي العجيبه
فسرت في صبيحة الميلاد في مدينتي الغريبه
قابلت رفقتي ، وثرثرنا : « وانتم بخير كل عام »
وبعدها رجعت في الترام
وقال راكب : « سمعت منذ ساعة خبر
قد مات بالكويت شاعر من العراق »
وخلفنا صاحت عجوز باهتمام :
« اهلا وسهلا .. كيف حالكم ... »
وبعد ان طال العناق
« .. ونحمد الرحمن كل من في بيتنا كما يرام »
وصاح راكب بسائق الترام :
« عجل قليلا .. سيدي .. فقد يزورنا رفاق
في العيد .. انت مدرك كم يسعد الرفاق بالرفاق »

جامعة دمشق

ممدوح عدوان

(١) الابيات المضمنة في اقواس كبيرة للسياب وبعضها قد ضمن بتصرف .